المحاضرة السابعة :

الفرنجة القسم الثاني شارلمان والامبراطورية الكارولنجية

شارلمان والامبراطورية الكارولنجية بدأ عهد جديد في سماء السياسة الفرنجية والاوربية على اثر وفاة بيبن الثالث الذي عهد بحكم المملكة مشاركة بين ولديه كارلومان الثاني وشارل الذي اخذ يعرف بشارلمان او شارل العظيم ·توضحت اتجاهات ذلك العهد بعد انفراد شارلمان في الحكم على اثر وفاة اخيه سنة771 ونهض شارلمان بمشاريع خطيرة في المجالات العسكرية والداخلية والدبلوماسية· المجالات العسكرية : حتمت عملية مشاريعه التوسعية في الجهات الشرقية نقل عاصمته من باريس الى اكس لا شايل (اخن) فأصبحت جهات الراين مركز الثقل السياسي في العهد الكارولنجي واعظم الفتوحات التي قام بها شا رلمان هي على حساب القبائل السكسونية نعم حاول الميرفونجيون فعلا ضم المناطق السكسونية وكذا فعل الحاجب شارل مارتل الذي بعشر حملات على السكسون ومع ذلك فقد بقيت هذه القبائل وثنية ومستقلة ومعادية للفرنجه تالف السكسون من ثلاث مجموعات قبلية هامة الويستفالية في جهات نهر امز وهضاب ارسبورك ثم الانكارية القاطنون حول نهر ويدز والمجموعة الثالثة هي الايستفالية الساكنة حول نهر الالبا وجبال الهرز ·اتبع شارل مان للاستيلاء على السكسون اسلوبين الاول تشجيع الفعاليات التبشيرية المسيحية بين هذه القبائل لا سيما ان انتشار المسيحية معناه انتصار الفرنجة حلفاء كنيسة روما اما الاسلوب الثاني فكان عسكريا ودامت حملاته على السكسون من سنة 870حتى 804 وبالرغم من دفاع تلك القبائل عن استقلالها وتراثها فقد تمكن شارلمان من اكراه الزعيم السكسوني ودوكايند على الاستسلام واعتناق المسيحية ومع ذلك استمرت المقاومة بين الطرفين وخير شارلمان السكسون بين الموت او اعتناق المسيحية واعدم في يوم

واحد (4500) من هؤلاء لرفضهم ذلك المعتقد· قادت حربه مع السكسون الى الاصطدام بقبائل اخرى· وكتسبب النصر لشارلمان على بافاريا واجبار زعيمهم تاسيلو على الاعتراف بتبعيته اليه· كما استولى على بو هيميا سنة (791)· واتبع حرب ابادة ضد الافاربيين 799 امتدت فتوحات شارلمان الى ايطاليا على حساب اللمبارد بالدرجة الاولى والسبب المباشر لهذه الحرب هي الدعوة التي تلقاها من البابا ادريان الثاني سنة 773لأنقاذه من غزو الملك اللمباردي دزيدريوس للولايات البابوية وصادفت حملته ضد اللمبارد معارضة قوية من قبل والدته برترادا ذات التأثيرات الكبرى في سياسة المملكة اذ اعتقدت هذه بأن العلاقات السلمية مع اللمبارد خير من نقيضها وذلك لاواصر المصاهرة بين العائلتين الحاكمتين ·أذ كانت زوجة شارلمان الاولى اخت الملك اللمباردي غير ان شارلمان راى في عدم مساعدته البابا تتناقضا للسياسة الفرنجية التقليدية في تحالفها مع البابوية هذا بالإضافة الى احقاده الخاصة على اللمبارد ·اذ ان شارلمان قد استولى على ممتلكات اخيه بعد وفاته متجاهلا حق ولديه الصغيرين وقد التجأت ارملة كارلومان مع طفليها الى البلاط اللمباردي وتمكن شارلمان من القضاء على الدولة اللمباردية سنة774 واسند في تلك السنه التاج اللمباردي الى والده بيبن وقام بدوره باعطاء البابويه منحة جديده عرفت بمنحة شارلمان عند زيارته للبابا في عيد الفصح سنه 774 وتألفت المنحة من منطقة رافيينا وسبوليتو و بنيفنتو لذا كافأه البابا على ذلك بمنحة لقب حامي الرومان واتخذ شارلمان على اثر ذلك لقب ملك الفرنجا واللمبارد وحامي الرومان وقادته سياسته الإيطالية الى الاصطدام مع البيزنطينيين اذ تحالفوريث العرش اللمباردي مع القوات البيزنطية.غير ان شارلمان انتصر على هذا الحلف سنة (788)واحتل أستريا العائدة للدولة البيز نطية شارلمان يصبح أمبرا طورا سنة(·800) التجأ البابا ليو الثالث الى شارلمان سنة(799) طالبا

المساعدة ضد ثور داخلية في روما فا ستجاب له واعج الامور الى نصابها·وفي يوم عيد ميلاد لسنة (800)بينما كان شارلمان زائرا م كنيسة بطرس في روما اذ البابا يضع تاج الامبراطورية الرومانية على راسه واعلنه امام الملأ امبراطور الرومان ·ويذكرلنا اينهارت مؤرخ البلاط الكارولنجي بأن شارلمان لو عرف بخطة البابا تلك لما دخل الكنيسة ذلك اليوم. وعلى كل يجب أن يؤخذ ذلك القول بتحفظ .لان شارلمان يطمح الى التاج الامبراطوري وكانت تمهد له حاشيته. وهذا ما يمكن فهمه من احد الرسائل التي بعث بها الكوين احط اقطاب الكاديمية الكارو.لنجية الى البابا المذكور يحثه فيها على تتويج شار لمان إمبراطورا ويبين له مبررات ذلك .وقد اصبح اللقب الامبراطوري هذا موضع اراء تاريخية مختلفة. حقا أن حادثة التتويج هذه تبدو تافهة لاول وهلة وذلك لان شار لمان كان فعلا صاحب السلطان وما المنصب الامبراطوري الا اعتراف بالأمر الواقع .ومع ذلك فقد اعطى الحادث شار لمان وخلفاءه حجة شرعية للسيادة الامبراطورية· والتتويج ايضا من الحوادث الهامة التي امتزجت فيها السلطتين الدينية والزمنية واصبحت فيما بعد من النقاط الجدلية العويصة التي كدرت العلاقات بين السلطات الزمنية والدينية·

اما الاسباب التي دعت ليو الثالث لتتويج شارلمان امبراطورا فأهمها: عدم الوئام بين الكنيستين الغربية والشرقية ونفور البابوات من سياسة اباطرة البيزنطيين في المجالات الروحية الزمنية وكذلك استنكار البابوية والمسيحيين في العالم الغربي اعتلاء الامبراطورة ايرين العرش البيزنطي سنة 797بطريقة غير انسانية باعتدائها على ولدها هذا ولم يسبق ان تولت امرأة العرش الامبراطوري ولا يتسنى لها ورثة بطرس في سلطته الزمنية على العالم المسيحي لذا فقد اعتبر البابا ليو الثالث ان عرش الامبراطورية قد اصبح شاغر وهناك ايضا عامل حاجة البابوات المستمرة للحماية من اعدائه في داخل روما وخارجها .

- سياسته الداخلية:

اصبح شارلمان اثر التتويج حاكما ثيوقراطيا وان حقه في الحكم حق الهي حسب نظرية السيفين واهتم بنشر المسيحية بين السكسون وحماية البابوية من اعدائها فساهم بصورة مباشرة في تثبيت الدولة البابوية التي لم تعد لتعترف من الناحيتين الواقعية والنظرية بالنفوذ البيزنطي منذ سنة 800م وتتوضح الخدمات التي قدمها شارلمان للدين في تشجيعه الاديرة وحمايتها وفي تقوية وسائل الدفاع على الحدود الاسبانية منعا لتسرب النفوذ الاسلامي الى الجهات المسيحية وكذلك في شنه الغارات على اسبانيا وحاول من ناحية ادارية الحد من الاتجاهات الاقطاعية اللامركزية المتزايدة وذلك عن طريق جهاز التفتيش الاداراي اذ خصص هيئات مراقبة اي رسل السلطان تتألف كل منها من رجل دين واخر علماني مهمتها التجوال في المناطق الادارية مرتين سنويا لغرض عقد المحاكم العليا وتقديم التقارير عن ثروات الضياع الاقطاعية.ومع ان شارلمان توخى من سياسته السابقة السيطرة على الامراء فأن سياسته العسكرية قد ادت الى ازدياد نفوذهم اذ اوعز الى كافة الفرسان

الانضواء تحت قيادة اقطاعية كبرى وان يجتمعوا تحت الوية

شارلمان عدة اجراءات لمعالجة الاوضاع الاقتصادية في إمبراطوريته .اذ أمر بإصلاح طرق المواصلات الرومانية القديمة وربط الانهر الرئيسية بعضها مع بعض لا القنوات .ثم أوجد أوزان ومقاييس موحدة. وعمل على توحيد العملة ومركزيتها .ونظرا لندرة الذهب لجأ إلى إصدار العمل النحاسية والفضية .إلا أنه أوجد عملة ذهب للمملكة المبارديةنظرا لاستمرار التجارة في تلك الجهات عن طريق البحر المتوسط. هدف من هذه السياسة تبسط التبادل التجاري داخليا

وخارجيا في الجهات البحر ية .غير أن هذه الإجراءات لم تمنع التجارة من الدهور لانتشار القطاع والتعود على التعامل النوعي ولتدهور المتاجرة عن طريق البحر المتوسط للسيطرة الإسلامية. وكذلك لعرض المجتمع عن طريق البحر المتوسط للسيطرة الإسلامية. وكذلك لا عرض المجتمع المسيحي الغربي عنها لاعتبارات دينية ولاعتمادهم الكلي على الزراعة تعتبر سياسة شارلمان في المجالات الثقافية الفردية من نوعها في العصر الوسيط الأوروبي.لذا أشير إليه يأتي من واضعي أساسي النهضة الأوربية .أحدثت سياسته في ذلك المجال نشاطا أدبيا ملحوظا أطلق عليه المؤرخون فيما بعد النهضةالمكارولنجيه ولكن على علم بأن هذه النهضة لم تكن شاملة كما أن الكثير من جوانبها قد زال أقطابها. ومع ذلك نجحت بأمرين حين. الأول أنها عملت على انتشال الثقافة الأوروبية من موت بطيء محقق والثاني انها اشيدت على أساس ثقافي متين استمر من بعد سقوط الإمبراطورية الكارولنجية وهكذا كونت تلك النهضة نقطة الانطلاق الثقافي للعصر الوسيط طالما أن إمبراطورية شارلمان محاولة لإعادة توحيد أوروبا الغربية أو إعادة بناء الإمبراطورية الرومانية هناك فقد جعلت التراث الكلاسيكي قدوة لها وهدفت إلى وصل حاضرها بالتقاليد الرومانية اذا أشار قطب النهضة الكارولنجية الكوين مخاطباً شارلمان لو تم تنفيذ ما يجول بخاطرك فمن المتيسر لنا انشاء أثينا جديدة في فرنسا أفضل وأجل من أثينا الأولى لأن التعاليم المسيحية قد شرفت اثينتنا، هنا يكمن جوهر النهضة الكارولنجية. اذ هدفت من جهة إلى ربط حاضرها بالتراث القديم مؤكدة من جهة ثانية اختلافها عنه فلم يطمح أقطاب تلك بالتراث النهضة إلى العصور القديمة فحسب بل واصلوا الجهود لا يجاد تعليم اثيني في إطار مسيحي. احتل الاهتمام بالتعليم مكانة كبرى في سياسة الإمبراطورية الكارولنجية ولا عجب في ذلك فلا يمكن للإمبراطورية الدوام آنذاك يدورن كادر

ديني متعلم مدرب وها نحن نلحظ لأول مرة وجود سياسة تعليمية واعية ذات أهداف دينية منذ البداية. كان من المتعذر حقا على الكارولنجيين القيام بمشروعهم التعليمي بغير الاستعانة بقادة بعض المراكز التعليمية المتبعثرة المنعزلة هنا وهناك في المؤسسات الديرية الأوروبية فبالرغم من أن الأقطار الأوروبية آنذاك في بحرلجي تسوده دياجير الظلمة فكانت مثلا في نورثمبريا في بريطانيا حركة تعليم دينية قدر لها أن تكون قبسا للنهضة الكارولنجية اذا استعان شارلمان بمشروعه الثقافي بالكوين الذي كان مدير المدرسة يورك دعاه شارلمان إلى بلاطه ليتولى الشؤون التعليمية في مدن اخن اوكس لا شابيل سنة 785. تقلد في البداية رئاسة مدرسة البلاط وانتهى به المطاف رئيسا لدير القديس مارثن في مدينة تور حيث انكب فيه على تطوير الخط اللاتيني مستعيضا عن الحروف الكبيرة بأخرى صغيرة وأصبح يعرف ذلك الخط بالكارولنجي الذي اعتبر من اجمل الخطوط واوضحها في العصر الوسيط. هذا ويعتبر الكوين قلب النهضة الكارولنجية النابض وان فعاليتها الثقافية أصبحت جزء من التراث التعليمي للعصر الوسيط. كانت هناك ثلاثة أنواع من المدارس هي الديرية والكتدارئية ومدارس القصر الامبراطوري. ثم أسس شارلمان مركز للدراسات العليا عاه بالأكاديمية. والأخيرة أشبه بكلية متألفة من حلقات دراسية تقليدا لوفان وأصبح شارلمان الرئيس الفخري للأكاديمية. وكانت هذه مقترة على نخبة الطلاب والأساتذة لمناقشة مواضيع اللاهوت والفلسفة اليونانية وأعطى شارلمان أهمية خاصة لمدارس القصر من شأن تثقيف الأمراء تدريبهم على الأعمال الإدارية أحل شارلمان نفسه بحاشية ضمت نخبة من علماء العصر استقدمهم من أقطار أوربية غربية. ومن بين هؤلاء بولص الشماس. 725-797الف كتاب تاريخ اللمبارد والذي اختص بتدريس اللاهوت وبطرس اوفبيا أستاذ اللاتينية في مدرسة البلاط وهناك أساتذة من اسبانيا

أمثال رئيس أساقفة ليون اكو بارد وهو من أقطاب علماء الدين ثم أسس مدينة اورلي ثيودولف المختص بالشعر والأدب. ومن أساتذة الأكاديمية الشهرين اينهارت فرنجي تخصص في الفلسفة والتاريخ وأصبح مؤرخ البلاط الكارولنجي. ولد سنة 770 وتلقى ثقافته الأولى في دير فلودا ثم التحق ببلاط شارلمان سنة 791 فأجبته به الكوين الذي أوصاف شارلمان بهي خير لما تو سمه فيه من ذكاء .وكان أينهارت قصيراً ونحيف هيئته الجسمية لا تتناسب مع مواهبه العقلية لذا أشار إليه الكوين ذات مرة مداعبا (لاضير في ذلك فالنحلة الصغير تنتج العسل وبالرغم من صغر العين فهي تقود الجسم) أستمر انهيار صديقا لشارلما ن و وفيا لورثاءه لمدة عشرين سنة .وقد وثق به النبلاء و ثوقا مطلقا. فعند ما عقد شارلمان مؤتمرا سنة 813 لا ستشارة النبلاء في أم ولا ية العهد اختارو اينهارت ممثل عنهم . توفي هذا سنة 840 ومن أشهر مؤلفاته التي خلفها هو كتاب تاريخ حياة شارلمان ومن بين الاساتذة الا في النهضة الكارولنجية الفيل الفيلسوف النكليزي تلميذ الكوين إلا وهو فردجيزوس صاحب كتاب وهذا عبارة عن موضوع في طبيعة العدم وآثارت آراؤه معارضة رئيس أساقفة ليون اكو بارد .ثم الأستاذ رابان مور الذي يعزا له نشر التعليم الكارولنجي في جرمانيا واعتبر المؤسس للتعليم في ذلك القطر .ومن كتبه المؤسسة إلا كليروسية وضعه لتثقيف الراغبين الانخراط في مساعدتها الكهنوتي اكد فيه دراسة العلوم الحرة واهمية الفلسفة اليونانية في مساعدتها على فهم الدين ومما يؤخذ على هذه النهضة الكارولنجية خلوها من الابداع والاصالة وان انتاجها لا يتعدى حدود النقل من الفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة افلا طون التي اعتمدت عليها الكنيسة .وتتسم النهضة الكارولنجية أيضا بمحاكاتها لافكار فلاسفة المسيحية الاوائل واساليبهم . مع ذلك فكان لها تأثير ات ملحوظة على جيل الإمبراطورية الثاني.اذ ظهرت مساجلات حول القضاء والقدر

المسيح وعلاقته با الله. ومهما كان من امر هذه النهضة فقد بقيت منعزلة كواحة في فيافي الصحراء من الجهل ومما اوهى خيوطها هي الغزوات التى انهالت على اوربا في القرنين.

سياسة شارلمان الخارجية

تتركز سياسته الخارجية أولا في تلافي الخطر الاسلامي من جهات اسبانيا بالضغط والتدخل العسكري وبناء الاستحكامات على الحدود والدس بين زعماء المسلمين هناك . ثانيا. الضغط على البيزنطينيين للاعتراف بسياسته الايطالية وبلقبه الامبراطوري. ومن هاتين النقطتين الاساسيتين قد يمكن لنا ان نفهم علاقاته الدبلوماسية مع الاسرة العباسية في بغداد . هناك اشارات تاريخية تفيد ان العلاقات الدبلوماسية بين البلاطين الكارولنجي والعباسي بدأت منذ حكم بيبن الثالث واستمرت في عهدي شارلمان وابنه لويس بايوس . ولعل الثورة التي قادها العلاء بن مغيث ضد عبد الرحمن الداخل والتي دعا فيها لأبي جعفر المنصور الخليفة العباسي قد شجعت بيبن على فتح المفاوضات مع العباسيين بالرغم مما اصاب تلك الثورة من فشل ذريع . اذ ارسل بيبن سنة 762 وفدا الى بغداد رجع بعد ثلاث سنوات الى فرنسا ومعه رسل من الخليفة . نزل الوفد في مرسيليا وتوجه لمقابلة بيبن الذي كان انذاك في مدينة متز . وامضى رسل الخليفة فصل الشتاء في قصر سلس على ضفاف نهر اللوار ثم رجعوا الى الشرق عن طريق مرسيليا ومعهم هدايا الى الخليفة . لقد سار شارلمان على خطة ابيه تجاه الامويين في الاندلس والعباسيين في بغداد . ولم يأل جهدا في التدخل بين زعماء المسلمين في اسبانيا والتقرب الى زعماء المسيحيين فيها . اذ كان شارلمان يفصل بين خصومات الاسبان المسيحيين ويتوسط لهم عند البابوية. وقد انتهز فرصة تمرد سليمان وإلى برشلونة للتدخل في اسبانيا. اذ وفد هذا على شارلمان سنة 777

طالبا مساعدته عسكريا ضد السلطات الأموية وكان شارلمان آنذاك في ويستفاليا في الجبهة السكسونية وبالرغم من انشغاله في تلك الجبهة فقد قبل دعوة سليمان وزحف بفرقتين على اسبانيا. سارت الفرقة الأولى باتجاه جيرونا بعد اجتيازها جبال البرانس الشرقية. وكانت الفرقة الأخرى تحت قيادته مباشرة تقدم بها عن بامبلونا. عاصمة دولة نافار المسيحية. وسقطت المدينتان بيد الفرنجة. ثم توجه الجيشان إلى ساراكوسا حيث فرضا الحصار عليها بدون جدوى. وقرر الانسحاب سنة 778 على إثر تهديد السكسون لبلاده ولفشل خطة سليمان في كسب الأعوان المسلمين إلى شارلمان. وكان انسحابه عن طريق أحد أودية جبال البرانس والذي يسميه العرب باب الشزرى وهناك هاجمت قبائل الباسك مؤخرة الجيش التي كانت تحت رولان. أمير بريتاني في فرنسا. فابادوها بما فيها رولان بعد أن دافع دفاعا مجيدا توضحت فيه صفات الفروسية الحقة وقد نسج الخيال الفرنسي حول هذه الحادثة هالة من الأوهام والخرافات في القرن الحادي عشر إبان الحروب الصليبية هذا وقد ارسل شارلمان سنة 797 وفدا إلى هارون الرشيد وأمر الوفد المرور بالقدس قبل ذهابه إلى بغداد ليتفقد أحوال المسيحيين وزوار ذلك البيت المقدس وان يتوسط لدى الخليفة في تسهيل مهمة زوار القدس. فاستقبلهم الخليفة ووعدهم خيرا وبعث هارون الرشيد سنة 806 إلى شارلمان هدية من منسوجات حريرية وقطنية وفيلا ابيض بناء طلبة وساعة من نحاس اصفر تتحرك بالماء وتدق اثنتى عشر مرة بعدد ساعات النهار. ونزل الوفد في قدمته من الشرق مدينة بيزا وحملت الهدايا بابتهاج عظيم إلى اكس لاشابيل مركز الإمبراطور شالمان فقدموا له ثنايا الخليفة واخبروه بأنه يضع مودته فوق مودة كافة الملوك لقد توقعت العلاقات بين الكارولنجيين والعباسيين موقتا على إثر وفاة هارون الرشيد سنة 809 والحروب بين الأمين المأمون. ولعل التسوية التي تمت حول اللقب الامبراطوري لشارلمان

مع البيزنطيين سنة 812 من جملة العوامل التي أدت إلى توقف العلاقات بين الدولتين في عهد شارلمان. إلا أنها استؤنفت في عهدي لويس بايوس والمامؤن. إن العلاقات الكارولنجية. العباسية من المواضيع التي تعددت فيها الآراء وتشبت من حيث صحتها ومداها. فهناك من أنكر وجود أية علاقة من هذا النوع وذلك لسكوت المصادر العربية المعاصرة عن الموضوع. ومنهم من أخذ بصحتها معتمدين على ما جاء به المؤرخ الكارولنجي اينهارت من أخبار ومع ذلك فإن سكوت المصادر الإسلامية المعاصرة عن هذه العلاقات لا يعني نفيها إطلاقا وليس من المعقول ان تختلق المصادر الكارولنجية هذه الأخبار اختلاقا فلا بد اذن من وجود صلات ودية بين البيتين الكارولنجي والعباسي. ومن المحتمل ان يكون الكارولنجيون قد هدفوا من وراء تلك العلاقات تأييد العباسيين المعنوي لتدخلاتهم في اسبانيا لكي يظهروا من يعتمدون عليهم من المسلمين في الأندلس بأنهم يقاومون الأمويين لكونهم لا يعترفون بالخلافة العباسية ولعل الكارولنجيين قد توخوا أيضا من هذه العلاقات خدمة المسيحيين بتأمين مصالحهم في الأراضي المقدسة والسهر على راحة حجاج القدس. ومن هنا نشا الرأي القائل بأن شارلمان وضع أسس النفوذ الفرنسي في البلاد الشامية. ويستندون في ذلك على ما أنشأه من مؤسسات خيرية هناك وإرسال رئيس أساقفة القدس مفاتيح كنيسة القيامة لشارلمان بوفد رسمي سنة 800 ومن الجائز أن يكون شارلمان قد هدف من هذه العلاقات استمرار الضغط على البيزنطيين من جهات الشرق من قبل العباسيين ومن قبله من جهات الغرب ليعترفوا به امبراطورا ولينصاعوا إلى نداء كنيسة روما في التوحيد العقائدي. ومن المحتمل أيضا أن يكون العباسييون قد هدفوا أيضا إلى الضغط على كل من البيزنطيين والامويين في الأندلس عن طريق الكارولنجيين. ولهذا فمن الممكن ان يرى الكارولنجيون والعباسييون في كل منهما حليفا طبيعيا

ومصلحة مشتركة هذا مع العلم بأن البيزنطيين حاولوا عكس ذلك التوازن الدولي بمفاوضاتهم الودية مع الأمويين في اسبانيا. أخذت علاقات شارلمان مع الإمبراطورية البيزنطية تتجه اتجاهات سلبية نظرا لتوسعه نحو الجهات الشرقية من أوروبا واقتراب خطره من الإمبراطورية البيزنطية وكذلك لتوسعه في إيطاليا على حساب المناطق العائدة للبيزنطيين تابعة لنفوذهم وكذلك للاختلافات المذهبية بين الكنيستين الشرقية والغربية. وقد توجت هذه العلاقات السلبية بقبول شارلمان التاج الروماني. حقا هناك بعض الآراء تشير إلى أن شارلمان كان يرغب أن يكون امبراطورا في الجهة الغربية فقط بينما إرادته البابوية أن يكون امبراطورا اوحدا لكافة المجتمع المسيحي حسب ما تذهب إليه نظرية السيفيين ومع ذلك حاول شارلمان أن يسوى مشكلة خلافة مع البيزنطيين بأساليب سلمية. ومن جملة حلوله في هذا الشأن ربط العاءلتين الحاكمتين في الغرب والشرق باواصر المصاهرة. فهناك اقتراحان لم يكتب لهما النجاح الأول. محاولة تزويج قسطنطين الخامس من ايرين قبل استءثار أمه بالعرش من إحدى بنات شارلمان والثاني اقتراح شارلمان الزواج من إيرين إلا أن المحاولة من جملة أسباب إشعال الثورة ضد الامبراطورة إيرين سنة 802 والتي أسفرت عن خلعها وعليه بقيت مشكلة التاج الامبراطوري تكدر العلاقات بين الجانبين حتى تم الاتفاق عليها سنة 812. هذا ولم يكن اعتراف البيزنطيين بلقب شارلمان يتضمن تنازلهم عن سيادتهم النظرية على القسم الغربي وانما هو اشبه بالاعادة لوضع الامبراطورية السائد اثناء حكم انوريوس واركاديوس . وكان ثمن اعتراف البيزنطيين بشارلمان تنازله عن فينسيا التي احتلها سنة 801. وارجاعها الى الدولة البيزنطية .

انحطاط الامبراطورية الكارولنجية وسقوطها

ناهيك عن سعة الامبراطورية ورداءة المواصلات وصعوبة الدفاع عنها وعدم ظهور شخصية قوية بعد شارلمان فهناك ثلاثة اسباب هامة لأنفراط عقد الامبراطورية الكارولنجية هي قاعدة (1)تقسيم المملكة بين الورثاء (2)الغزوات التي قامت بها الجموع الاسلامية والشمالية والمجرية على الامبراطورية بصورة خاصة وعلى اوروبا عامة (3)ازدياد الاتجاهات اللامركزية للأقطاع 1- قاعدة التقسيم كانت قاعدة التقسيم متبعة منذ فجر السلالة الميروفنجية .ولم تشذ الاسرة الكارولنجية عن ذلك ولم تستفد من دروس الماضي في هذا المضمار . فالصدف وحدها انقذت شارلمان من خوض غمار الحرب ضد اخيه كارولومان اذ توفي بعد ثلاث سنوات من الحكم بعد ان وصلت العلاقات بين الاخوين حد الانفجار . كما انه لم يبقى من اولاد شارلمان في قيد الحياة سوى لويس بايوس الذي توجه امبراطورا مشاركا قبيل وفاته سنة 813. بدون مشاركة البابا بذلك التتويج . ويمكننا تقسيم المرحلة التي حكم فيها لويس بايوس (الورع) 840-814 . الى فترتين تمتد الاولى من سنة 814حتى سنة 817 ولم يحدث فيها ما يعكر الصفو العائلى. وتمتد الثانية من التاريخ الأخير حتى سنة 837 حيث تعرضت فيها الإمبراطورية للحروب الأهلية نتيجة لا نشقاق الأسرة الحاكمة. والسبب في ذلك محاولات لويس بايوس الرامية لتقسيم الإمبراطورية بين أولاده. ومن أهم محاولاته في هذا الشأن هما في تاريخي 817 و837. اذ قسم في التاريخ الأول الإمبراطورية بالتساوي بين أولاده الثلاثة وهم لوثر وبيبين ولويس. وجعل اللقب الامبراطوري إلى ابنه الأكبر لوثر. ومن هنا المشكلة. اذ أهمل الأب تقديم الضمانات الكافية للمحافظة على حصة برفاد ابن أخيه في إيطاليا. فثارت ثائر ته ونشبت الحرب وأسفرت عن دحر جيوش برفاد وأصبح طريد القانون وأراد العم أن يقتص من ابن أخيه عن طريق المراوغة والخداع. فأصدر له ولعائلته امانا

وجيء بهم ضيوفا عليه. وما هي إلا أيام معدودات حتى شرع الإمبراطور فى اعتقال ضيفه وتعذيبه وتسميل عينيه فاضت روحه. وحدث أن توفيت زوجة لويس بايوس في السنة التالية وقد تطير كثير من وفاتها واعتبرها لعنة السماء على أفعاله. لذا بدأ ضمير الإمبراطور بالاستيقاظ فتجسمت له المأساة وأصبح نهب الهواجس فأراد التكفير عن ذنبه فعقد مجلسا عاما ضم الأمراء ورجال الدين في مدينة attignyسنة 823 قام معترفا بخطاياه والاثام التي ارتكبها.ان الرضاء النفسي الذي حصل عليه الورع من الاعتراف ولد له مشاكل عدة مع امرأته والاستهتار بهيبته. حدثت المشكلة الرئيسية الناجمة عن قاعدة التقسيم في حكم لويس الورع سنة 837. اذ استقر رأيه على إعادة تقسيم الإمبراطورية نظرا لولادة وريث جديد له اسمه شارل من زوجه أخرى يقال لها جوديث لذا بدأت العلاقات بالتردي بين الأب وولديه لوثر ولويس الذي لقب بالجرماني. فنشبت عدة حروب بين الجانبين. ثم توصل الأب إلى اتفاق نهائي مع ولده الأكبر لوثر سنة 838 ومما سهل الاتفاق وفاة بيبن وأشغال لويس الجرماني في محنة عائلية افقدته أتباعه في حينها فلم يقام له وزن عند الاتفاق ولم ينته الامر عند ذلك الحد. اذ نشبت الحرب بين الاخوة الثلاثة عند موت لويس الورع سنة 840 واستمرت حتى سنة 843 حيث عقدت بينهم معاهدة فردان قسمت فيها الامبراطورية الى ثلاثة اقسام هي-1 :استلم لوثر الاول 840-855حوض الراين وايطاليا واللقب الامبراطوري واشير الى هذه الدولة بالمملكة الوسطى -2 . حكم لويس الجرماني 840-876 الاقسام الكائنة الى الجهات الشرقية من المملكة الوسطى والتي عرفت بأسم جرمانيا -3 .حصل شارل الذي لقب بالاصلع الاقسام الواقعة الى الجهات الغربية من المملكة الوسطى . ان لمعاهدة فردان اهمية خاصة في تاريخ اوروبا. اذ انها ميزت لأول مرة بين الاقسام الشرقية والغربية للأمبراطورية

الكارولنجية .فكانت الاولى نواة لالمانيا والثانية لفرنسا . وتعتبر تلك المعاهدة بداية الصراع التاريخي بين المانيا وفرنسا حول المنطقة الوسطى ذلك الصراع الذي استمر متقطعا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . كما انها ارت بداية الفوارق القومية بين المانيا وفرنسا منذ تلك المرحلة المبكرة . وهذا ما يلحظ من قسم ستراسبورك سنة 842 والذي تعهد فيه كل من شارل واخيه لويس قبيل تسوية فردان ان لا ينفرد اي منهما في صلح مع اخيهما لوثر . وقد اخذ لويس القسم امام جنده باللغة الالمانية بينما فعل شارل ذلك باللغة الفرنسية . هذا وقد قسمت المملكة الوسطى على اثر وفاة الامبراطور لوثر الاول سنة 855 بين اولاده الثلاثة . فأصبحت الجزاء الايطالية واللقب الامبراطوري من حصة لويس . واستلم لوثر الثاني المنطقة الشمالية من المملكة الوسطى والتي سميت بأسمه لوثر نجيا وحولت التسمية فيما بعد الى لورين . اما منطقة برغندي فأصبحت

من حصة الابن الثالث شارل. كما قد تقاسم فيما بعد لويس الجرماني وشارل الاصلع مملكتي لورين وبرغندي في معاهدة مروسون سنة 870 وأشارت تلك المعاهدة بوضوح إلى الحدود بين ثلاث من الدول الأوروبية الحديثة هي فرنسا وألمانيا وايطاليا. هذا ولم يتمكن الامبراطور لويس الثاني من الحيلولة دون ذلك التقسيم نظرا الاشتباكه في معارك مع المسلمين في إيطاليا وكذلك مع البيزنطيين حول مدينة باري وقد تمكن شارل الاصلع من الاستئثار باللقب الامبراطوري سنة 875 عند وفاة الإمبراطور لويس الثاني لقد توفي لويس الجرماني سنة 876 وكذلك شارل الاصلع سنة 881 ونظرا لصغر ابن الأخير فقد بايع أمراء فرنسا شارل الملقب بالسمين وهو حفيد لويس الجرماني سنة 881 ومع أن الأجزاء الثلاثة قو توحدت نظريا في عهده الاان النبلاء خلعوه سنة 887 لعجزه عن الدفاع ضد الهجمات النورمندية وبذلك اعتبر المؤرخ برايس خلع ذلك الإمبراطور

ووفاة في السنة التالية النهاية الفعلية للإمبراطورية الكارولنجية. وبالرغم من أن الالمان اختارو ملكا لهم حفيدا غير شرعي للويس الجرماني والمسمى ارنولف 887-899 والذي توج امبراطورا سنة 896الانه لم يتمكن من تثبيت أقدامه في إيطاليا وألمانيا وقد انتخب الأمراء بعد وفاته ابنه الصغير لويس الثالث 899-911 وبوفاته انقرضت الأسرة الكارولنجية وأخذت كل من فرنسا من جهة وألمانيا وايطاليا من جهة أخرى تشقان طرقين مستقلين. إن الحروب الأهلية التي نجمت عن قاعدة وذيولها كانت سببا هاما في تفكك الإمبراطورية وانهيارها. كما أدت إلى اشتداد هجمات الأقوام النورمندية الشمالية والإسلامية والمجرية والتي نشير لها اصطلاحا بالغزو الثاني على أوربا تمييزا له عن الغزوات الأولى التي انهالت على الإمبراطورية الرومانية كما أن الغزو الثاني والحروب الأهلية من الأسباب التي أدت إلى استفحال قوى أمراء الاقطاع وابتعادهم عن السلطة المركزية 2الغزو الثاني يعتبر ذلك من العوامل الرئيسية التي اودت بالامبراطورية الكارولنجية وله تأثيرات لا تقل خطورة في التاريخ الأوروبي عما احدته الغزو الأول للإمبراطورية الرومان. اذ تعرضت فيه أوروبا بصورة عامة لهذا الغزو من الشمال والجنوب والشرق ولاقت الامبراطوريتان الكارولنجية والبيزنطية وسائر الأقطار الأخرى الأمرين واودى الغزو أيضا بالنهضة الفكرية الكارولنجية وأنزل أوروبا الغربية إلى أدنى مراتب الانحطاط لمدة تزيد على القرنين. وأهم هذه الجموع الغازية هي. الأقوام الإسلامية. لم تكن اسبانيا المسلمة في القرن التاسع لتمثل خطرا مباشرا على الاقسام الأوروبية الغربية والجنوبية لأسباب عدة. ولعل أهمها تفرق كلمتهم واشتداد ساعد الدويلات المسيحية في جبال البرانس التي عجز المسلمون عن دحرها وكذلك لحمايات الحدود العسكرية وتحصينها التي اشادها شارلمان على حدوده المشتركة مع اسبانيا. هذا مع العلم ان الغارات الإسلامية من تلك الجهة لم

تنعدم بالمرة في تلك الفترة على الاقسام الجنوبية من فرنسا غير أن الخطر المباشر المحدق بالأقسام الجنوبية الأوروبية ونقصد بذلك إيطاليا وجزرها فقد جاء من المناطق الإسلامية في شمال أفريقيا ال إذ قام الأغالبة بعدة حملات بحرية على صقلية وايطاليا منذ سنة 827.وثبتوا أقدامهم في نهاية القرن التاسع في كل من صقلية ومردينيا وكورسيكا. وتوغل المسلمين في شبه الجزيرة الإيطالية وأصبحت لهم معسكرات عديدة بين روما ونابلي شنوا منها الغارات سنة 843 على روما والمدن المجاورة واضطر البابوات إلى دفع الاتاوات لقادة المسلمين هناك تجنبا لخطرهم وامتد النفوذ الإسلامي إلى الأقسام الشمالية من إيطاليا مؤسسين لهم معسكرات أيضا في جبال الألب توالت منها غارات على الاراضي الألمانية هذا ولم تتمكن كل من الامبراطوريتين الكارولنجية والبيزنطية من زحزة المسلمين من تلك الجهات وقد بقي النفوذ الإسلامي في الجزر الإيطالية خاصة حتى ظهور النورمنديين في القرن الحادي عشر. الشماليون ينتمي الشماليون أو النورمنديين الى التيوتون الأوائل الذين سادوا شبه الجزيرة الاسكندنافية وكانت هذه في بدايتها مأهولة من اجناس مغولية أقرب إلى الاسكيمو الذين تغلب عليهم الكلتيون ثم انتزعتها القبائل التيوتونية من هؤلاء شرع الاسكندنافيون باخر موجة جرمانية كبرى قبيل نهاية القرن الثامن وأطلق عليهم الأوروبيون تسمية الفارانجيين وكذلك أصحاب الخلجان لتمركزهم في الخلجان أو مصبات الأنهار التي تنطلق منها غاراتهم على الأجزاء البرية امتدت غزواتهم إلى مناطق شاسعة فشملت الإمبراطورية الكارولنجية واسبانيا والجزر البريطانية وكافة أنحاء أوروبا الوسطى واستولوا على ايسلاند وكرينلاند ويقال انهم وصلو إلى ما تسمى الان نيوفوندلاند وسواحل امريكا الشمالية أما الأسباب التي دفعت بهؤلاء للهجرة واحتراف هذا النوع من الغزوات البحرية والبرية فلم تكن واضحة لدى المؤرخين. ومع ذلك فهناك

بعض النظريات نسبت الغزو إلى ازدياد مظطرد في سكان قبائل السويد والدانيين والنرويج أو للاضطهاد الذي لاقاه صغار الرؤساء من ملوكهم الذين حاولوا فرض سياسة مركزية ويرى قسم من المؤرخين أن الضربات التي وجهها شارلمان إلى السكسون حطمت حاجزا منيعا بين الشمال الإمبراطورية الكارولنجية فكانت سببا لتحركات أهل الشمال. وجه الفايكنك اول غاراتهم على انكلترا سنة 887 اغاروا على الإمبراطورية الكارولنجية وشارلمان في قيد الحياة ثم سنة 814 في جهات نهر اللوار واحرقوا الغارات على الاراضي الكارولنجية سنة 841 حيث قصدو مناطق ونهبوا ثم بعد سنتين من ذلك التاريخ وكهاراتهم في فصل الصيف من كل سنة إلا أنهم منذ أواسط القرن التاسع اكادوا يتمركزون في مصبات الانهر والخلجان حيث يكمنون فيها اوقارتاء وبذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ غزواتهم بتأسيس تلك السدود البحرية. لقد حاث هؤلاء طيلة النصف الثاني من القرن التاسع في الفرنسية إذ هاجموا سنة 857 عدة مدن منها تور وبوردوا وبلوا والان وبواتيه من قاعدتهم البحرية في مصب نهر اللوار. ثم تمركزوا أيضا مصب الرون واتخذوا مدينة سنة 872 منطلقا لهم لعدة سنوات وشرعوا ثانية في مهاجمة القسم الشرقي من فرنسا عن طريق نهر السين سنة 885. وطلب الشماليون عند وصولهم أبواب باريس السماح لهم بمواصلة السير في ذلك النهر مقابل عدم مهاجمتهم باريس وفرضو الحصار على تلك المدينة لمدة سنتين حينما رفضت السلمات طلبهم. وأخيرا استجاب شارل السمين لذلك الطلب لرغبته في تدير برغندي. هذا ولم يتمكن الكارولنجيون من مقاومة الفايكنك لانشالهم في الحروب الأهلية. ولم يتورع المتنافسون من الاستعانة بالغزاة من بعضهم البعض. وأخيرا أضطر شارل البسيط ملك الفرنجية الغربيين على منح زعيم الفايكنك المسمى رولو أراضي حول مصب

نهر السين سنة 911 توسع منها إلى الجهات المجاورة وأصبحت منطقته تعرف بنورمندي. ومن أشهر القبائل الشمالية التي لعبت أدوار خطيرة في تاريخ أوروبا في هذه الفترة هي قبائل طريق الشمال حيث هاجمت ايرلاند القبائل الدانية التي أخذت اسمها عن زعيمها دان ميكيلاتي. هاجمت فرنسا وانكلترا ثم القبائل السويدية واغارت هذه على المناطق السلافية واستقر قسم منها في روسيا ويعتقد بأن لفظة روسيا كانت تطلق على إحدى القبائل السويدية التي قصدت تلك الجهات. القبائل المجرية ..وهي من القبائل الآسيوية شكلت خطرا على أوروبا منذ النصف الأول من القرن التاسع وقيل عنهم بأنهم من أشد الأقوام ضراوة غزا هؤلاء هنغاريا سنة 895 ثم بافاريا سنة 890 ونهبوا سكسونيا سنة 937 ولم تنقطع مخاطرهم إلا بعد الانتصار الذي حققه ملك ألمانيا أوتو الأول في معركة لخفيلت سنة 955.

2- الاتجاهات اللامركزية للاقطاع.

إن الفترة التاريخية المضطربة أي فترة الغزو الثاني على أوروبا أسفرت عن إحدى الحقائق الهامة. إلا وهي أن الظروف الاقتصادية التي سادت الأقسام الغربية من أوروبا جعلت بقاء الإمبراطورية الكارولنجية أمرا عسيرا إذ برهنت الحوادث على أن ازدياد الاتجاهات اللامركزية الإقطاعية واستقلال الأمراء اقتصاديا وسياسيا في انهيار السلطة المركزية للإمبراطورية الكارولنجية. اذ اضعفت هذه الاتجاهات الإقطاعية إمكانية الإمبراطورية المالية وشلت اجهزة الدفاع وجردت السلطة من هيمنتها على السكان . اذا اصبح ولاء الافراد في تلك الفتره ولاء شخصيا للرئيس الاقطاعي المباشر وليس للرئيس الدوله . ان اشتددا الامركزية من الحوافز الهامة

في تقسيم الامبراطورية سنه ٨٤٣ في معاهدة فردان . كما ان المعاهدة الاخيرة ساعدت بدورها على استفحال القوى الاقطاعية وادت فيما بعد الى تجزئة المملكة الوسطى واستقلال الامراء في كل من المملكتين الشرقية والغربيه . وفي ذلك الخضم المضطرب بتصارع القوى بدت المؤسسات الاقطاعية في اوربا وكأنها حمى وملاذاً للناس . حقا انها المؤسسات العملية الوحيدة التي صمدت امام العواصف التي تناوحت الامبراطورية الكارولنجية خاصة والجهات الاوربية عامة . فقدمت حلولا عملية بسيطة لحاجات الافراد الاساسية. سنة 978 وقد اضطر هذا إلى دفع الاتاوات للدانيين سنة 991 وعرفت الضريبة التي شرعت من أجل تلك الغاية بضريبة. حاول الملك اثبرت محاربة النفوذ الدانيماركي بطرق دبلوماسية والمؤامرات الانتقامية فقد تزوج من اخت أمير نورمندي المسماة اما .املا في تقوية مركزه ثم عمد إلى تحريض شعبه على قتل كافة الدانيين الساكنين بين ظهرانيهم فكانت منها مذبحة سنت برايس سنة 1002 التي استفزت ملك الدانمارك سوين فوركبيرد الذي قرر ضم انكلترا إلى ممتلكاته لذا ارسل حملة عسكرية بقيادة ابنه كانوت سنة 1016 تمكن بها من ضم ذلك القطر إلى أمبراطوريته التي كانت تشتمل على النرويج أيضا وبقيت انكلترا جزءاً من هذه الإمبراطورية حتى سنة 1035 تمكنت أما. من جعل ابنها الأكبر ادورد المعترف ملكا على انكلترا بمساعدة أخيها دوق نورمندي على إثر وفاة كانوت وتمزق أمبراطوريته ويعتبر اعتلاء ادورد المعترف العرش سنة 1042 مرحلة تمهيدية لامتلاك انكلترا من قبل وليم الفاتح لذا جعل حراسه من النورمنديين واستبدل العادات النورمندية في بلاطه. وتكون حزب معارض لسياسته هذه بقيادة اللورد كودين. وعند وفاة الأخير تولى ابنه هارولد قيادة المعارضة وقد أخذ ينظر إليه

الانكليز وكأنه الوارث الشرعي لعرش بلادهم. وقد انتخب ملكا فعلا عند وفاة ادورد المعترف سنة 1066.